

# قراءة نقدية لمبحث المظلومية في كتاب (الشهيد الخالد)

الشيخ رافد التميمي<sup>(١)</sup>

## تمهيد

من الأمور المهمة التي وقع فيها اختلاف بين العلماء والمحققين هو تحديد الهدف، أو الأهداف التي خرج من أجلها الإمام الحسين عليه السلام، وهو بحثٌ دقيقٌ وحساسٌ، يستوجب على مَنْ يريد الدخول فيه أن ينظر إلى هذه المسألة من جوانب عديدة، وأن يجمع بين الأدلة والشواهد التاريخية والفكرية والعقدية، من خلال منهج علمي، وعلى وفق مبانٍ ورؤى واضحة.

وقد عدت المظلومية أحد أهداف نهضة الإمام الحسين عليه السلام، وقد وقع اختلاف في إثبات هذا الهدف تبعاً للاختلاف في الرؤى حول هذه المسألة، ومن بين تلك الآراء ما طرحه الشيخ صالح نجف آبادي، في كتابه: الشهيد الخالد (شاهد جاويد) في مسألة المظلومية، وهو يُعتبر من الآراء الخاصة والشاذة، التي لا تمثل الرأي المشهور للطائفة في هذه المسألة المهمة من النهضة الحسينية<sup>(٢)</sup>.

(١) مدير مركز الدراسات التخصصية في النهضة الحسينية، فرع قم المقدسة.

(٢) تمّ فرز رأيه من كتابه في المقال السابق، في هذا العدد من مجلة الإصلاح الحسيني، تحت عنوان: هل

خطط الإمام الحسين عليه السلام لإبراز مشهد المظلومية والمأساة في كربلاء؟

ونحن نرى أن الكاتب لم يكن مُوفِّقاً في إثبات رؤيته لمسألة المظلومية؛ وذلك إمّا لعدم الدليل الواضح على مُدّعاه، ممّا يجعل دعواه بدون دليلٍ أو شاهد، وإمّا لأنّ رؤيته لم تكن متكاملة حول ملابسات المسألة آنذاك، وإمّا لوجود الدليل المخالف على بعض فقرات دعواه. جميع ذلك أدّى بالكاتب -لأنّ يذهب إلى بعض الآراء الشاذّة في هذه المسألة نوعاً ما، حتى في غير مسألة المظلومية، بحيث امتدّ تبنيّه للآراء الخاصّة في مجمل أبعاد النهضة الحسينية المباركة.

### تنويه

لا يفوتني أن أنوّه إلى أنّه ليس هدفنا من هذا المقال اختيار رأي بعينه، أو تحديد الصحيح من تلك الآراء، وإتّما هدفنا هو الردّ على كيفية العرض والاستدلال التي اعتمدها الكاتب في هذا الموضوع.

### بيان أصل المسألة

يتمحور أصل المسألة حول الأمر التالي: وهو هل أنّ المظلومية من أهداف كربلاء التي سعى الإمام الحسين عليه السلام لتحقيقها، أو أنّها أمر ثانوي تحقّق بسبب بشاعة الأعداء وظلمهم؟

فالرأي الأول يذهب إلى أنّ من أهداف الثورة الحسينية، بل من أهمّها هو تحقيق المظلومية، بمعنى أنّ الإمام عليه السلام سعى لأن يكون مظلوماً وبأشدّ الصور، وهيئاً أسباب ذلك، وهذا ما يُعبّر عنه عادةً بنظرية الشهادة.

والرأي الآخر يذهب إلى أنّ الإمام عليه السلام سعى لأن ينتصر، ويحقّق حكومة عادلة، إلّا أنّ ذلك لم يتحقّق؛ فكانت المظلومية، وهذا ما يُعبّر عنه بنظرية الحكومة.

وقد بيّن الكاتب أنّه لا يمكن قبول أنّ الإمام عليه السلام أراد أن يُقتل بأبشع صورة،

وأنه هيباً أسباب ذلك القتل من أجل تحقيق المظلومية، ومع بطلان هذا الأمر يثبت أن الإمام عليه السلام كان قصده من نهضته الوصول إلى الحكومة.

## نقاش ورد

ربما يتصور القارئ من بيان الكاتب أن في المسألة رأيين: إما الرأي القائل بالشهادة والمظلومية، وإما الرأي القائل بالحكومة، مع أن الأمر ليس كذلك؛ فإن في هذه المسألة الحساسة عدّة آراء ونظريات<sup>(١)</sup>:

منها: نظرية الشهادة، كما عن ابن طاوس<sup>(٢)</sup>، ومحسن الأمين<sup>(٣)</sup>، والشيخ لطف الله الصافي<sup>(٤)</sup>، والسيد محمد سعيد الحكيم<sup>(٥)</sup>، وغيرهم.

ومنها: نظرية الحكومة، كما قد يظهر عن الشيخ المفيد<sup>(٦)</sup>، والسيد المرتضى، والشيخ الطوسي<sup>(٧)</sup>، وغيرهم.

ومنها: إن الإمام عليه السلام خرج لأجل حفظ نفسه، فهو لم يخرج لا إلى إقامة حكومة، ولا إلى الشهادة، قال الاشتهادي: «خروج الإمام الحسين من المدينة إلى مكة، ومن مكة إلى العراق لأجل حفظ نفسه، وليس لأجل الحرب والثورة وتشكيل حكومة»<sup>(٨)</sup>.

ومنها: تعدّد الأهداف وتنوّعها حسب الظروف المتغيرة وحسب المراحل، وهذه

(١) أنظر: مهريزي، مهدي، مقال تحت عنوان: (تحليلي در باره أهداف قيام إمام حسين)، حماسة حسيني، مجموعة مقالات.

(٢) أنظر: ابن طاوس، علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف: ص ١٨.

(٣) أنظر: الأمين، محسن، أعيان الشيعة: ج ١، ص ٥٨١.

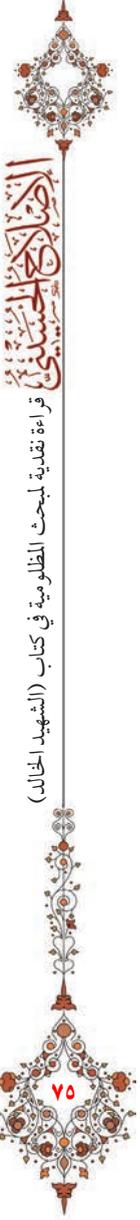
(٤) أنظر: الصافي الكلپايگاني، لطف الله، شهيد آگاه (الشهيد العالم): ص ٨٠.

(٥) أنظر: الحكيم، محمد سعيد، فاجعة الطف: ص ٣٣.

(٦) أنظر: المفيد، محمد بن محمد، المسائل العكبرية: ص ٦٩.

(٧) أنظر: الطوسي، محمد بن الحسن، تلخيص الشافي: ج ٤، ص ١٨٢.

(٨) الاشتهادي، هفت رسالة (سبع رسائل): ص ١٩٣.



الرؤية أيضاً على أقسام بحسب التفصيلات التي ذهب إليها كل واحد من المحققين، كما عن الشيخ الشهيد المطهري<sup>(١)</sup>، وكما عن السيد مرتضى العسكري<sup>(٢)</sup>، وكما عن السيد الأستاذ منير الخباز<sup>(٣)</sup>، وكما عن الشيخ محمد جواد فاضل اللنكراني<sup>(٤)</sup>، وغيرهم. إذاً؛ فالأمر ليس كما يصوره الكاتب من أنه في هذه المسألة الحساسة يوجد رأيان، ومع بطلان أحدهما يتعين الثاني، فيصل إلى مراده بأسهل الطرق، وإنما هناك آراء متعدّدة، ومن يريد أن يُبدي رأياً فعلياً متابعاً الآراء والأدلة جميعاً، والآراء المتقدّمة، وإن كان بعض من قال بها ممن تأخر عن زمن الكاتب، إلا أن من كان في زمنه ومن كان متقدماً عليه فيه الكفاية لمرادنا.

### السعي لتهيئة ظروف الشهادة

مما أثاره الكاتب وشنّع به على قائله أنه كيف يمكن تصوّر أن يقال: إن الإمام سعى لتهيئة الظروف المناسبة لقتله، فهذا أمر لم يقل به أحد من الشيعة، ولا يوجد عليه أيُّ شاهد أو دليل، ناسباً ذلك إلى مستشرق ألماني، حيث يقول: «لا يُعلم من أين جاء هذا الرجل الألماني بفرض أن الإمام الحسين عليه السلام كان يهيم لمقتله لسنوات متوالية؟! فأَيُّ مؤرّخ - سواء أكان شيعياً أم سنياً - كتب لنا أن الإمام عليه السلام كان لسنوات عديدة يهيم بمقدمات مقتله؟! إذا استطاع (ماربين) - أو أيُّ شخص آخر يفكر مثل تفكيره - أن يأتي بدليل تاريخي يُثبت لنا أن الإمام الحسين عليه السلام كان قبل نهوضه بثورته البطولية ولو بساعة

(١) أنظر: المجموعة الكاملة لمؤلفات الأستاذ الشهيد مطهري: ج ١٧، ص ٣٧١.

(٢) أنظر: العسكري، مرتضى، معالم المدرستين: ج ٣، ص ٣٠٨.

(٣) أنظر: الخباز، منير، مقال تحت عنوان: (مشروع دراسة الحركة الحسينية)، مجلّة الإصلاح الحسيني، السنة الثانية، العدد السادس: ص ٤٩.

(٤) أنظر: اللنكراني، محمد جواد فاضل، مقال تحت عنوان: (النهضة الحسينية بين نظرية الشهادة وإقامة الحكومة)، مجلّة الإصلاح الحسيني، السنة الثانية، العدد الثامن: ص ٣٩.

قد مهّد وأعدّ العدّة لمقتله.. فنحن مستعدّون من دون نقاشٍ قبول بقيّة كلامه، حتى وإن كان مجرداً عن الدليل»<sup>(١)</sup>.

## نقاش وردّ

قبل الدخول في نقاش ما تقدّم ينبغي أن نبيّن أمراً، وهو: ما المقصود من أنّ الإمام عليه السلام سعى وراء تهيتة أسباب قتله؟  
فهنا معنيان:

**المعنى الأول:** إنّ الإمام الحسين عليه السلام قدّم نفسه كالقربان الذي يكون بيد ذبّاحه، ومن دون حولٍ ولا قوة، ولا مقاومة؛ فيكون بذلك قد سرّع مصرعه، وأراح عدوه، وهيئاً الظروف وأعدّها لذلك، ثمّ بعد القتل ربّما تتحقّق فائدة من القتل المقدّس، ولا فائدة مرجوة أصلاً - بناءً على رأي الكاتب - وهذا المعنى واضح البطلان، بل هو من سخيف القول؛ لأنّ هذا موتٌ بذلّة وهوان، وضعف واستسلام، وهذه حالة تخالف أوضح النصوص الحسينية (هيئات منّا الذلّة)، (والله، لا أعطيكُم بيدي إعطاء الذليل)، وهكذا مقتل لا يمكنه أن يحرّك ضمير الأُمّة، ومشاعر المجتمع، وأحاسيس الأحرار.

فإن كان قصد الكاتب من أنّ الإمام عليه السلام هيئاً ظروف قتله هذا المعنى، فهو ممّا لم يقلّ به أحد على الإطلاق، بل لم يقله حتى أعداء الإمام الحسين عليه السلام، فضلاً عن علمائنا وعظمائنا، وهو رأي خلاف أوضح أهداف النهضة المقدّسة، ومن المستبعد أن يكون الكاتب قاصداً لهذا المعنى.

**المعنى الثاني:** أن يكون المقصود هو أنّ الإمام عليه السلام بما أنّه كان عالماً بمقتله، وأنّ هذا أمر سوف يؤدّي إلى حياة الأُمّة وإيقاظ ضمائر المسلمين، فلاجل ذلك كان عليه السلام مسرعاً لتحقيق

(١) أنظر: هذا العدد، مقال (هل خطّط الإمام الحسين عليه السلام لإبراز مشهد المظلوميّة والمأساة في كربلاء؟):



مشروعه وهدفه الإلهي بأحسن صورة، ذلك المشروع الذي يرسم للأجيال أفضل المواقف البطولية والممانعة للظلم والطغيان والانحراف، فقد خطَّ الإمام عليه السلام بمواقفه وكلماته وأنصاره أروع نماذج المقاومة الحرّة والحقّة، وقد علّم بذلك أحرار العالم كيف يقولون: (كلا). بوجه كلّ ظالم متهتّك جبار. فكلّ من يراجع النهضة المقدّسة يتعلّم أنّه لا بدّ من المقاومة ولو في الرمق الأخير، ولا بدّ من المحافظة على العزّة ولو في أشدّ الظروف، فهذه هي المعاني التي سعى إليها الإمام الحسين عليه السلام، وأسرع لتحقيقها، وهيّا الظروف المناسبة لإبرازها بأفضل صورة، مع الحفاظ على جميع الشرائط العرفية والشرعية.

وهذا المعنى هو مقصود من ذهب إلى نظرية الشهادة<sup>(١)</sup>، وأنّ الإمام عليه السلام قد سعى إلى مقتله وهيّا الظروف لذلك.

وبناءً على هذا المعنى الثاني؛ فيمكن مناقشة الكاتب:

أولاً: إنّ بعض علماء الشيعة ذهب إلى نظرية الشهادة، وأنّ الإمام عليه السلام ذهب إلى مقتله وهيّا الظروف لذلك، قال السيد الحكيم: «كانت نتيجة اتّفاقه عليه السلام مع الحرّ أن وصل إلى مكانٍ بعيد عن الكوفة، قريب من نهر الفرات، حيث الماء والزرع والقرى، وحيث يسهل تجمّع الجيوش لقتاله، ويصعب أو يتعذّر على من يريد نصره الوصول إليه»<sup>(٢)</sup>. إلى غير ذلك من كلمات الأعلام بهذا الصدد.

ثانياً: هناك شواهد تاريخية عديدة على نظرية الشهادة، وأنّ الإمام سعى لذلك، وقد ذكر بعضها السيد الحكيم في كتابه فاجعة الطف، تحت عنوان: (الشواهد على أنّه عليه السلام لم يتحرّر مظانّ السلامة)<sup>(٣)</sup>، وكذا ذكر الشيخ الصافي بعض الشواهد في مواضع متعدّدة من كتابه<sup>(٤)</sup>.

(١) أنظر: الصافي الكلبايگاني، لطف الله، شهيد آگاه (الشهيد العالم): ص ١٧٠.

(٢) الحكيم، محمد سعيد، فاجعة الطف: ص ٣٣.

(٣) المصدر السابق: ص ٢٩.

(٤) أنظر: الصافي الكلبايگاني، لطف الله، شهيد آگاه (الشهيد العالم): في مواضع متعدّدة، أنظر:

وبذلك يتبين أنّ دعوى الكاتب المتقدّمة ليست في محلّها؛ فهي خلاف التحقيق، ولا نريد أن نقول: إنّ نظرية الشهادة وكون الإمام سعى لذلك، نظرية صحيحة أو خاطئة. ولكن نقول: ليس من الصحيح أن يُقال: إنّها نظرية لا قائل بها، ولا شاهد عليها.

### القتل بأفجع صورة

ناقش الكاتب دعوى أنّ الإمام عليه السلام سعى لأن يُقتل بأفجع صورة، هو وأهل بيته، قال: «إنّ الإمام الحسين عليه السلام لم يسعَ أبداً إلى جعل مصيبته أكثر ترويعاً، وإنّما سعى بكل ما يملك من قوّة إلى الدفاع والمقاومة، وجاهد حتى آخر رمق في حياته من أجل حفظ عياله وأهل بيته»<sup>(١)</sup>.

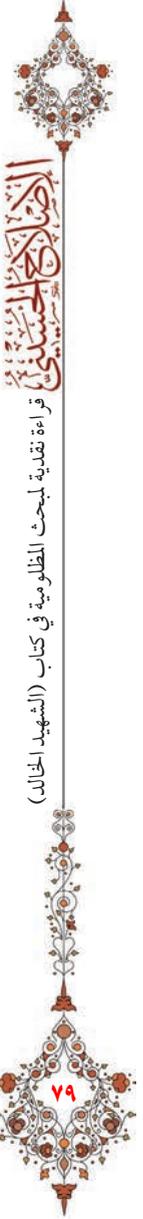
### نقاش وردّ

يمكن النقاش فيما ذكر من خلال بيان تصوير لمسألة الفاجعة يثبت أنّ الإمام عليه السلام سعى لتحقيق أشدّ أنواع المظلومية، ومن دون أن يلزم أيّ إشكال أو نقض أو استبعاد، وذلك بأن نقول:

يمكن أن يكون الإمام عليه السلام قد رأى في اليوم العاشر أو قبله بيوم<sup>(٢)</sup> أنّه مقتول لا محالة، حتى وفق المعطيات الظاهرية الخارجية التي لا ربط لها بعلم الإمام عليه السلام الغيبي، وفي مثل هذه الحالة وهذه الظروف من المناسب جداً أن يُظهر الإمام عليه السلام بشاعة الأعداء، وتدنيهم الخُلقي والثقافي والإنساني، على كلّ المستويات، ويبين مستوى الهمجية التي

(١) أنظر هذا العدد، مقال (هل خطّط الإمام الحسين عليه السلام لإبراز مشهد المظلوميّة والمأساة في كربلاء؟): ص ٥٩.

(٢) أقول: وهذا يجتمع مع جميع النظريات في أهداف النهضة الحسينية، سواء التي تقول بالشهادة أو الحكومة أو غير ذلك؛ حيث أشارت تلك النظريات إلى أنّ في اليوم العاشر وفي اللحظات الأخيرة لم يبقَ للإمام عليه السلام سبيل إلاّ السلّة أو الذلّة، فقالها الإمام عليه السلام مدوياً: «هيهات منّا الذلّة».



كان عليها هؤلاء، فبدل أن يموت الطفل الرضيع عطشاً في مهده، يموت وهو شامخٌ أمام الأعداء، تُخلّده الأجيال إلى قيام الساعة، وبدل أن يموت الإمام عليه السلام ضامئاً عطشاناً بسكوت، يموت وهو طالب للماء، مبيئاً بذلك عمق الخسّة التي كان عليها هؤلاء، فالكاتب لم يميّز بين نوعين من المظلومية:

الأول: أصل المظلومية.

والثاني: كيفية وحدود المظلومية.

فلو تنزّلنا عن الأول - وقد قبله الكثير - فلا يمكن أن نتنزّل عن الثاني؛ لأنّه هو الذي أبرز عامل المظلومية بشكل واضح في تلك النهضة المباركة، وهو الذي خلّد المواقف الشجاعة والبطولية، فهو يعتبر مكملاً لصورة كربلاء الناصعة والمشرقة عبر الزمان.

وبعبارة أخرى: إنّ ما تقدّم من اعتراض الكاتب، تارة يُجّاب عنه مبنائياً، وأخرى بنائياً، فالأول بأن نقول: إنّ الشواهد والأدلة قد قامت عند البعض على أنّ الإمام عليه السلام قد سعى لتحقيق المظلومية من أول الأمر؛ لأنّ الهدف يقتضي ذلك.

وأما الثاني، فإنّه حتى من يرى أنّ الإمام عليه السلام سعى للحكومة، قال: بأنّه عليه السلام قد أدرك في اللحظات الأخيرة - من خلال الشواهد الظاهرية والمعطيات الخارجية - أنّ تحقيق الحكومة أمر غير ممكن، ولا سبيل إلاّ الشهادة، حينئذٍ نقول: القتل والشهادة على أنواع، وأكثرها تأثيراً أشدها فاجعةً، كما تقدّم.

بل حتى طلب العودة من قبل الإمام عليه السلام - بناءً على ثبوته - كان يصبّ في هذا الأمر ويؤكّده؛ فإنّ الشواهد كانت تُشير إلى أنّ يزيد وجلاوزته لا يقبلون إلاّ بأحد أمرين: إمّا البيعة والذلّة، أو القتل والشهادة، ومع ذلك فإنّ الإمام عليه السلام عرض عليهم أن يدعوه يذهب، فالإمام عليه السلام بموقفه هذا أثبت للتاريخ وللأجيال أنّ هؤلاء قومٌ طغاة متجبرون، لا يحترمون الديانات ولا الحريات، ولا الفطرة السليمة.



فإن قلت: إن البشاعة التي عند الأعداء لا تحتاج إلى مَنْ يُظهرها ويُبرزها؛ فإن مَنْ يقتل وليَّ الله وابن بنت نبيِّه، ويقتل شخصيَّةً مثل شخصيَّة الإمام الحسين عليه السلام، لم يبقَ شيء من بشاعته وسوئه خافياً حتى يحتاج إلى الإظهار.

قلت:

أولاً: لو لم يُظهر الإمام عليه السلام عبد الله الرضيع لما حصلت تلك الواقعة الأليمة، ولو لم يطلب الإمام عليه السلام الماء لما تحقَّق ذلك المظهر الرهيب.

ثانياً: ليس المدَّعى أنَّ الإمام عليه السلام أظهر كلَّ ما كان خافياً في سرائر هؤلاء القوم، بل جلَّها كانت ظاهرة، وإنَّما الإمام عليه السلام أبرز جوانب منها، والتي لولا إبرازها لما تبينت.

ثالثاً: ربَّما تجد مَنْ لا يفهم معنى العالم والإمام، والشخصيَّة الإسلامية العظيمة، ولا يفهم معنى النبوة، بل ولا معنى الدين، إلاَّ أنَّه يفهم معنى المظلومية وعمقها من خلال تصرفات الظالمين البشعة مع الأطفال والنساء، ومع مَنْ لا قوة ظاهرية مادية عنده.

رابعاً: إنَّ قابلية فعل الشيء أمرٌ، وفعل ذلك الشيء أمرٌ آخر، فمجرد القابلية إمَّا أن لا تُدرك، أو تُدرك ولكن لا يُدرك عمقها وأبعادها.

### خطأ الإمام عليه السلام الدفاعية

فإن قلت: كيف تصنعون بموقف الإمام عليه السلام الدفاعي؛ حيث رتَّب الصفوف، وحفر الخندق، وأشعل النار، وما إلى ذلك من الخطوات التي تدلُّ على أنَّ الإمام عليه السلام لم يُرد أن يكون مظلوماً؟

قلت:

أولاً: إنَّ الدفاع عن النفس هو الذي يعطي قيمةً للمظلومية، وهو الذي يظهر بشاعة الأعداء؛ لأنَّ مَنْ يذهب إلى عدوِّه ليقته العدو لا قيمة لمقتله، فضلاً عن أن يكون قيمة وثقل في التاريخ، كما تقدَّم بيان ذلك.



ثانياً: إنّ الجمع بين الموقفين يمكن أن يكون من خلال التفريق بين أصل المظلومية وبين كفيّتها، كما تقدّم في الجواب البنائي.

ثالثاً: إنّ ما سعى إليه الإمام عليه السلام هو أن يكون مظلوماً، لا أن يكون مسلوب الإرادة، مغلوب الرأي، ضعيف العزم والهمّة؛ فإنّ مَنْ يكون كذلك لا يُسمّى مظلوماً، بل هو مسلوب الإرادة، وإذا سُمّي مظلوماً فليس هو المظلوم الذي يشحذ الهمم، ويقوّي العزائم، بل يكون محلاً للشفقة والرحمة والعطف.

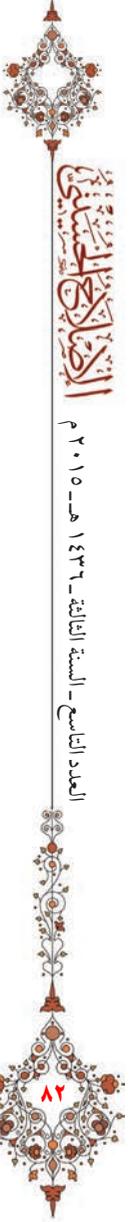
رابعاً: بناءً على أنّ الله تعالى البدء في كلّ شيء، وفي كلّ لحظة فإنّ الإمام عليه السلام كان يسعى للشهادة وللمظلومية، ومع ذلك كان يعمل عمل المقاوم لاحتمال البدء، سواء كان الإمام عليه السلام يعمل على وفق علمه الغيبي، أو كان يعمل على وفق المعطيات الخارجية الظاهرية.

### تحديد منشأ الخطأ

أفاد الكاتب أنّ منشأ الخطأ الذي دعا البعض إلى القول بنظرية الشهادة، وأنّ الإمام عليه السلام سعى لتهيئة ظروف ذلك، هو ما قاله المستشرق الألماني: «حضرت في تركيا برفقة مترجمي الخاص ماتم للحسين بن علي، وسمعت الخطباء يقولون كذا وكذا عن نهضة الإمام الحسين»<sup>(١)</sup>.

ثمّ علّق على ذلك بقوله: «فهناك احتمال مطروح أنّ بعض الخطباء المحترفين والسطحيين في تركيا قد بحثوا فلسفة النهضة الحسينية على أساس التصوّر القائل: إنّ الإمام الحسين قد نهض بداعي الاستشهاد...»<sup>(٢)</sup>.

(١) أنظر: هذا العدد، مقال (هل خطّ الإمام الحسين عليه السلام لإبراز مشهد المظلومية والمأساة في كربلاء؟):



أقول: إنَّ ما حدّده الكاتب من منشأ الخطأ أمر لا يمكن قبوله؛ وذلك لأنَّ من علمائنا مَنْ ذهب إلى هذا الرأي قبل ماريين بفترات طويلة، وقد سبقت الإشارة إلى ذلك، وعلى هذا الرأي الكثير من العلماء والمحققين المعاصرين، فكيف يُصوّر الكاتب أنَّ ماريين أخذ من بعض الوعّاظ في تركيا شيئاً، ثمَّ أخذ عنه غيره ذلك الشيء وانتشر فيما بعد؟! فهذا تفسير وتصوير بعيد كلّ البعد عن الحقيقة والواقع.

### القدوة والأسوة

ذكر الكاتب أنَّ الرأي المذكور لا ينسجم مع كون الإمام عليه السلام قدوة، فمن يذهب إلى مصرعه ومصرع رجاله وأهل بيته لا يمكن أن يكون قدوة للآخرين، قال: «إذا أردنا أن نحكم - كما حكم ماريين - بأنَّ الإمام أراد أن يُلقى بنفسه في دائرة القتل وعلى أسوأ حال ممكن، مع سبعة عشر نفرًا - تقريباً - من خيرة رجال البيت النبوي... فهل يصحَّ جعل هذا الفعل نموذجاً يقتدي به المسلمون ويسيرون على ضوئه؟!»<sup>(١)</sup>.

أقول: هذا كلام يبيّن البطلان؛ فالإمام الحسين عليه السلام أسوة في الوقوف بوجه الظلمة، ونصرة المظلوم، وفضح الظالم، قدوة في جميع المبادئ والقيم الشاخصة التي حققتها كربلاء وأبطال كربلاء، برجالها ونسائها، وشيوخها وأطفالها، فالإمام الحسين عليه السلام أسوة وإن استلزم ذلك الموقف قتله وتعرّض عيالاته للخطر والاضطهاد؛ وذلك لأنَّ أصحاب هذا الرأي لا يدّعون أنَّ الإمام عليه السلام أراد القتل باختياره بطراً، وإنما أُجبر على ذلك؛ إذ لا سبيل لإحياء الأمة إلاَّ بهذا الأمر، فالإمام عليه السلام اضطرَّ لذلك؛ كي يحيي دين جدّه المصطفى صلى الله عليه وآله، ويحقق مقولة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله: «حسين مَنِّي وأنا من حسين»<sup>(٢)</sup>.

(١) أنظر: هذا العدد، مقال (هل خطّ الإمام الحسين عليه السلام لإبراز مشهد المظلومية والمأساة في كربلاء؟):

وأين هذا من كلام الكاتب: بأن هذا الرأي لا ينسجم مع كون الإمام عليه السلام أسوة وقدوة  
للآخرين!؟

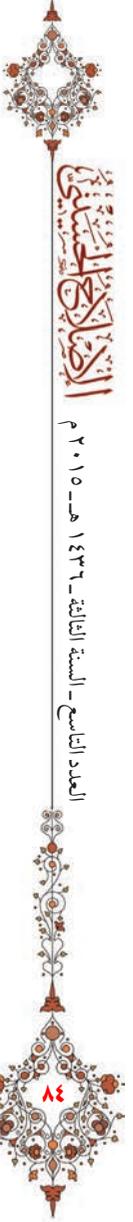
## رأي الطوسي والمرتضى

استشهد الكاتب بكلام الشيخ الطوسي والسيد المرتضى على رأيه وبطلان مَنْ  
خالفهما، قال: «ي قول شيخ الطائفة الطوسي عليه السلام - حول مسألة جواز أو عدم جواز أن  
يكون الإمام عالماً بمقتله فخرج إلى القتال -: (ولي في هذه المسألة نظرٌ) وذهب أستاذه  
العالم الكبير السيد المرتضى عليه السلام علم الهدى إلى عدم جوازه؛ لأنّ دفع الضرر عن النفس  
واجبٌ عقلاً وشرعاً. وعليه؛ إذا كان شيخ الطائفة عليه السلام متردداً في الحكم بجواز كون  
الإمام عالماً بمقتله حال خروجه أم لا، وكذلك ما ذهب إليه السيد المرتضى عليه السلام في الحكم  
بحرمته؛ فكيف يمكن بلا تحرّز نسبة ذلك إلى الإمام عليه السلام بأنّه خرج عالماً بمقتله؟! وكيف  
يصحّ اتباع فعل تردّد في أصل جوازه بعض العلماء وصرّح بحرمته بعض من دون  
ترديد؟! وعليه؛ كيف يمكن لنا ترجيح رأي (ماريين) الألماني على رأي علماء الشيعة  
الكبار؟!»<sup>(١)</sup>.

يرد عليه:

أولاً: إنّ الاستشهاد بمثل كلام الطوسي والمرتضى، لا يعني خطأ مَنْ خالفهما في  
الرأي، فإنّ رأي هذين العلمين يُعتبر أحد الآراء في المسألة - كما تقدّمت الإشارة إلى  
مجموعة من الآراء في بداية هذا المقال - ورأيهما ورأي مَنْ خالفهما يخضع للأدلة.  
ثانياً: قد اتضح ممّا تقدّم أنّه لا يصحّ أن يُجعل الرأي القائل بالشهادة على أنّه رأي  
لمستشرق ألماني، والرأي القائل بالحكومة هو رأي كبار علماء الإمامية.

(١) أنظر: هذا العدد، مقال (هل خطّط الإمام الحسين عليه السلام لإبراز مشهد المظلومية والمأساة في كربلاء؟):



ثالثاً: هناك نقاش في أصل نسبة هذا الرأي إلى الطوسي والمرضى، أعني هذا التفسير وهذا الاستنتاج، فقد ذكر الشيخ الصافي الغلبايجاني، وكذا السيد مهدي مرتضوي: أنّ جواب العَلَمين كان لأحد أبناء العامة، وقد أخذ في الجواب مراعاة حال السائل، ومقدار فهمه وعقائده، ثم ذكر مجموعة من الشواهد على هذا المعنى، بعضها مرتبط بكيفية السؤال، وبعضها مرتبط بفقرات الجواب، وبعضها مرتبط بالوضع العام الذي كان يعيشه العَلَمان - خصوصاً السيد المرتضى - وبعضها يرتبط بأمر تاريخية عامة<sup>(١)</sup>. وعليه؛ فلا يحقّ للكاتب الاستشهاد بكلام العَلَمين؛ لأنّه فسّر كلامهما بما لا يمكن أن يقصدها.

وقد علّق الكاتب على الجواب الأخير في الملحق الذي اضافهُ لكتابه شهيد جاويد (الشهيد الخالد) في الطبعة التالية من الكتاب - في معرض ردّه على كتاب: شهيد آگاه (الشهيد العالم) - حيث قال ما مضمونه: إنّ تأويل جواب المرتضى والطوسي بما ذُكر لا شاهد ولا دليل عليه، فهو مجرد دعوى لا يمكن قبولها<sup>(٢)</sup>.

أقول:

أولاً: لو سلّمنا بهذا الردّ، فإنّه لا ينفي ما تقدّم في الردّ الأول والثاني الذي ذكرناهما على مطلب الكاتب.

ثانياً: قد ذكرنا في الردّ الثالث أنّ هناك مجموعة من القرائن على هذا المدّعى، وأنّ المرتضى والطوسي كانا في مقام الردّ على سؤال من بعض العامة.

نعم، هذه الشواهد غير مذكورة في الصفحات التي نقلها الكاتب عن كتاب شهيد

(١) أنظر: الصافي الغلبايجاني، لطف الله، شهيد آگاه (الشهيد العالم): ص ٨٧، ص ١٧٢. جواب او از كتاب او، يا پاسخ شبهات شهيد جاويد (جوابه من كتابه، أو جواب شبهات الشهيد الخالد): ص ٨٧ - ٩٧.

(٢) أنظر: شهيد جاويد (الشهيد الخالد): ص ٤٧٨.

آگاه (الشهيد العالم)، وهي الصفحات (٨٧، ١٧٢، ٢٣٠)، وإنما شواهد مبثوثة في صفحات أخرى، بالإضافة إلى ما نقلناه عن كتاب (جواب او از كتاب او، يا پاسخ شبهات شهيد جاويد (جوابه من كتابه، أو جواب شبهات الشهيد الخالد) الذي قد جمعها في مكان واحد، في أكثر من عشر صفحات.

### الثمرة والمصلحة من قتل الإمام عليّ

أراد الكاتب أن يصرّو أنّ قتل الإمام عليّ ومظلوميته والفاجعة التي جرت عليه لم يكن فيها ثمرة، أو كانت ولكن كان الضرر أكبر وأعظم، فاستعرض مجموعة من الثمرات المحتملة، ثم ردّها جميعاً؛ فثبت من خلال ذلك أنه لا يمكن أن يكون هدف كربلاء هو الشهادة والمظلومية، ونحن سنناقش في ردوده المذكورة على كلّ ثمرة.

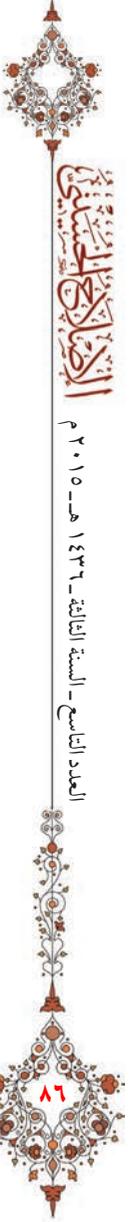
### الثمرة الأولى: عمل المسلمين بأحكام الدين

أن تكون الثمرة من النهضة الحسينية هي عمل المسلمين بأحكام الإسلام، فردّ على هذا المحتمل بأنه لا يمكن تصوّر أنّ قتل الإمام عليّ يؤدي إلى ذلك، قال: «إذا كان المراد من ذلك: أنّ قتل ابن رسول الله كان سبباً للعمل بأحكام الإسلام على نطاق واسع من قبل مسلمي الحجاز والعراق والشام وشمال أفريقيا.

[أقول]: هذا الكلام ليس بصحيح؛ إذ كيف يمكن التصديق بأنّ مقتل الإمام كان باعثاً ومحركاً نحو العمل بأحكام الإسلام بشكل أكثر...»<sup>(١)</sup>.

ويرد عليه: إنّ ما نفاه الكاتب ممكن جداً؛ لأنّ من يتابع الهدف الذي كان يسعى إليه بنو أمية، والذي أسس له معاوية يرى ذلك ممكناً، بل هو المتعيّن، حيث كان معاوية وبنو أمية يخطّطون لمحو الإسلام على مرحلتين:

(١) أنظر: هذا العدد، مقال (هل خطّط الإمام الحسين للإبراز مشهد المظلومية والمأساة في كربلاء؟):



الأولى: تفرغته من واقعه وروحه وحيويته.

الثانية: محو مظاهره وعلائمه وهويته.

فالإمام عليه السلام ومن خلال نهضته وشهادته وقف بوجه المرحتين معاً، فقد حافظ على روح الإسلام وعلى مظاهره في البيت الشيعي، وحافظ على مظاهر الإسلام عند بقية المسلمين، ووقف سداً منيعاً بوجه من أراد أن يمحو الإسلام، وقد فصلنا الكلام في هذا المعنى في مقالٍ مستقلٍّ منشور في هذه المجلة المباركة<sup>(١)</sup>.

### الثمرة الثانية: الفتوحات الإسلامية

أن تكون الثمرة هي الفتوحات الإسلامية لبني أمية التي وقعت بعد حادثة عاشوراء، فأجاب عن ذلك: إنه لا ربط لمقتل الإمام الحسين عليه السلام بهذه الفتوحات، قال: «وإذا كان المراد: أن قتل الإمام أدى إلى قيام فتوحات أخرى، فقد فُتحت مثلاً - في زمن الوليد بن عبد الملك - بلاد الأندلس في الغرب، وبلاد سمرقند وبخارا في الشرق.

[أقول]: فهذا الرأي ليس بصحيح أيضاً؛ فما وجه العلاقة بين مقتل الإمام عليه السلام وبين فتح الأندلس وسمرقند؟!...»<sup>(٢)</sup>.

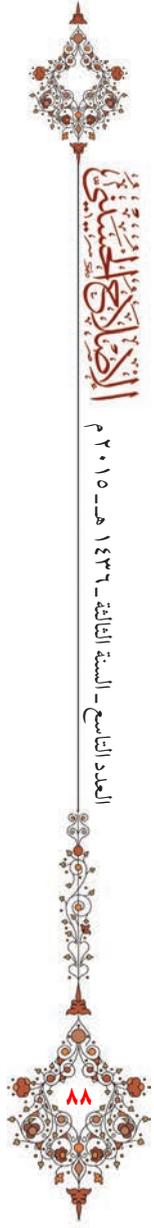
ونقول في مقام الجواب: لم يدع أصحاب نظرية الشهادة هذا المعنى وهذه الثمرة، بل ولم يدعه أحد حسب علمي وتتبعي، وما هذا الاحتمال إلا من ذهن الكاتب، وهو واضح البطلان، ولا يحتاج رده إلى بيان.

### الثمرة الثالثة: إضعاف بني أمية

إن قتل الإمام عليه السلام ومظلوميته أضعف حكومة بني أمية، فردّ الكاتب على هذه الثمرة:

(١) أنظر: مقال تحت عنوان: (النهضة الحسينية وحفظ المبادئ والمظاهر الدينية)، مجلة الإصلاح الحسيني، السنة الأولى، العدد الرابع: ص ٩٧.

(٢) أنظر: هذا العدد، مقال (هل خطّط الإمام الحسين عليه السلام لإبراز مشهد المظلومية والمأساة في كربلاء؟):



إنَّ قتل الإمام عليه السلام كما أضعفها من جهة، فإنَّه قد قوّاها من جهةٍ أخرى؛ حيث إنَّ الحكومة الأموية أزاحت عن طريقها عدوها اللدود والقوي، وبذلك قمعت حركة أهل العراق، وأخافت بقية الحركات المعارضة لها، وهذا الجانب أقوى من جانب الإضعاف الذي لحق بني أمية؛ ولأجل ذلك واصلت حكومة بني أمية قمعها، كما في واقعة الحرة وحرقت الكعبة، كما أنّها توسّعت من حيث الجغرافيا ومسك الأرض، وأنَّها لم تسقط إلا بعد سبعين سنة من واقعة عاشوراء، قال: «وإذا كان المراد: أنّ مقتل الإمام الحسين عليه السلام أدّى إلى إضعاف الحكم الأموي، فلم يستطيعوا بعد مقتله أن يضحّوا بالإسلام مقابل أهوائهم الجاهليّة.

[أقول]: هذا أيضاً لا يمكن قبوله؛ فمن جهة يصحّ القول: بأنَّ مقتله عليه السلام قد أضعف حكومة بني أمية، إلا أنّها قد استحكمت من جهةٍ أخرى...»<sup>(١)</sup>.  
يرد عليه:

أولاً: إنّ الكاتب قد اعترف أنّ هناك جنبه أضرت بني أمية، وهي حسب تعبيره: «فقد صَعَفَت من جهة وقوعها محلّ اشمزازٍ وكرامية أكثر في أذهان عامة الناس»<sup>(٢)</sup>. وقال أيضاً: «أمّا جانب الضعف فيها، فقد تمثّل في تنفّر الجماهير التحرّرية من حكومة بني أمية، تنفّراً مخفياً ومبيّناً لا يجرأ أحدٌ على إظهاره»<sup>(٣)</sup>.

فهذا الأمر الذي اعترف به الكاتب نفسه، أعظم نتيجة يمكن أن تحقّقها حركة معيّنة ضدّ طاغي، وضدّ حكومة باغية، فإنّ تحويل الرأي العام أمر في غاية الأهميّة والخطورة والصعوبة؛ لأنّه البداية الحتمية لزوال كلّ حكومة، وأقول كلّ إمبراطورية، فلو ملك شخص الأرض بما فيها وكان مبعوضاً لا يمكنه الاستمرار، ولا الراحة، ولا

(١) أنظر: هذا العدد، مقال (هل خطّط الإمام الحسين عليه السلام لإبراز مشهد المظلوميّة والمأساة في كربلاء؟): ص ٦٤.

(٢) أنظر: هذا العدد: ص ٦٤.

(٣) أنظر: هذا العدد: ص ٦٤ - ٦٥.

العيش الهنيء إلا من خلال القتل والترهيب؛ لذلك نجد أن جميع الطغاة يعملون على تلميع صورهم أمام المجتمع والرأي العام، فحتى لو سلّمنا بالإيجابيات التي حصلت عليها حكومة يزيد من قتل الإمام عليه السلام، إلا أنّها جميعاً لا تضاهي هذه الخسارة العظيمة التي خسرتها، والتي لم تتخلّص من عارها إلى يومنا هذا، بل وإلى قيام الساعة.

ثانياً: مَنْ قال: إنّ الإمام الحسين عليه السلام قد قُتل، وإنّ الحكومة الأموية تخلّصت منه عليه السلام، وإنّه عليه السلام انتهى أمره؟ فإنّ الإمام عليه السلام منهج وسيرة، مبادئ وقيم، حرية وشموخ وكبرياء، وكلّ حسنات الدهر، وهذه أمور حيّة حيوية تعيش مع المجتمع في كلّ زمانٍ ومكان، فالإمام عليه السلام صار فكرة وعقيدة يعيش في القلوب، ويحيى في الضمائر، يزلزل أركان الظلام في كلّ حين، ليس فقط عرش يزيد، بل كلّ طاغٍ متجبرٍ عنيد، فالإمام عليه السلام قد انتصر وقد استمر انتصاره إلى يومنا هذا وسيبقى، فلم تتخلّص منه حكومة بني أمية ولا لحظة واحدة، فدعوى الكاتب لا يمكن قبولها بوجه؛ فإنّ خسارة بني أمية ابتدأت من كربلاء، فصارت اللعنات عليها إلى الأبد.

ثالثاً: إنّ حركة أهل العراق وإنّ قمعت، إلا أنّها لم تنته، بل اشتدّت وزادت، وتعدّدت الثورات، مثل: ثورة التوابين، والمختار، وزيد الشهيد، وغيرها من الحركات الحقّة، فضلاً عن غيرها، وهي كثيرة ذُكرت مفصّلة في كتب التاريخ والسير.

رابعاً: مَنْ قال: إنّ حكومة بني أمية واصلت قمعها؟ فإنّها كانت حكومة يزيد تلفظ أنفاسها الأخيرة، وما واقعة الحرّة إلا ثمرة من ثمرات كربلاء في وجه تلك الحكومة الباطلة، لا أريد القول: إنّ تلك الواقعة حقّة في جميع تفاصيلها، وإنّما أريد أن أقول: إنّ الإمام الحسين عليه السلام كسر طوق الخوف الذي كان يحيط بالأمّة، فتحرّكت وثار، وقامت وكسرت الأغلال، وضجّت بوجه ذلك الطاغية، لا كما يصوّر الكاتب من أنّ يزيد أحكم سيطرته على الأمّة وأخافها بعد واقعة عاشوراء، فهذا قولٌ ناقصٌ مجتزأ من التاريخ.

خامساً: ما فائدة كلّ الفتوحات فيما لو لم تكن الحكومة محبوبة، فهي بدون ذلك لا



قيمة ولا عيش هنيئاً لها، فقد حققت عاشوراء نفرة المجتمع من تلك الحكومة، وما ذلك إلا لعمق الفاجعة والمظلومية في كربلاء بكل ما تحمله الكلمة من معنى.

سادساً: ما قيمة السبعين سنة في قبال (١٤٠٠ سنة)، بل في قبال التاريخ وأعماقه وامتداده، بل وإلى الأبد، فالسبعون لا تساوي شيئاً، هذا من جهة، ومن جهة أخرى ربّما تجد موقفاً واحداً يساوي عمراً كاملاً، وعمرٌ كاملٌ تجده في مزبلة التاريخ، وموقفٌ واحدٌ تخلّده الأجيال، ويكون مناراً تستضيء به الأمم، وتجد في قبال ذلك عشرات، بل مئات السنين لا قيمة لها.

لا أدري كيف يقرأ هذا الكاتب الأمور؟! وكيف يجللها؟! وكيف يستنتج منها، لعله لو دقق أكثر لكان قد غير رأيه.

### الثمرة الرابعة: قوّة الشيعة

أن تكون الثمرة هي أنّ الشيعة قد استفادوا وتشكّلت جماعتهم بعد قتل الحسين عليه السلام، فأجاب: إنّ الشيعة وإن استفادوا من جهة، إلا أنّهم ضعفوا من جهة أخرى، قال: «وإذا كان المقصود: أنّ مقتل الإمام عليه السلام ساعد في رصّ الصف الشيعي وجعله أكثر تنظيمًا من ذي قبل. فلا بدّ من القول: إنّ الواقع الشيعي نراه قد قوي - من جهة - واستحكم بعد شهادة الإمام الحسين عليه السلام، ومن جهة أخرى ضُعب وتقهقر. فجانب القوّة يكمن في تحرك مشاعر الناس وعواطفهم لصالح الشيعة، وجانب الضعف يتمثل بفقدان البيت الشيعي زعيماً كبيراً كالحسين بن علي عليه السلام ومقتل ثلّة من أبرز رجالات الشيعة وشخصياتها. زيادة على ذلك، فإنّ حادثة التوابين ومقتل عدّة آلاف من خواص الشيعة ورجالاتها قد أدّى إلى إضعاف الشيعة أكثر ممّا مضى، ثمّ جاءت ثورة المختار...»<sup>(١)</sup>.

(١) أنظر: هذا العدد، مقال (هل خطّط الإمام الحسين عليه السلام لإبراز مشهد المظلوميّة والمأساة في كربلاء؟):

يرد عليه: ما تقدّم في الجواب عن الثمرة السابقة؛ فإنّ كسب الرأي العام من أهم الأمور التي تسعى كلّ حركة لتحقيقه، حتى يمكن التحرك وسط المجتمع، والوصول للغايات المطلوبة، فإنّ التغيير لا يمكن أن يتحقّق إلاّ من خلال كسب الرأي العام أو تغييره، والأول هو عادة المصلحين وقيادات طريق الخير، فإنّهم دائماً يسعون إلى كسب الرأي العام، من خلال الإرشادات والمواعظ الحسنة، وبيان الأدلّة الخطابية والبرهانية لعموم الناس<sup>(١)</sup>.

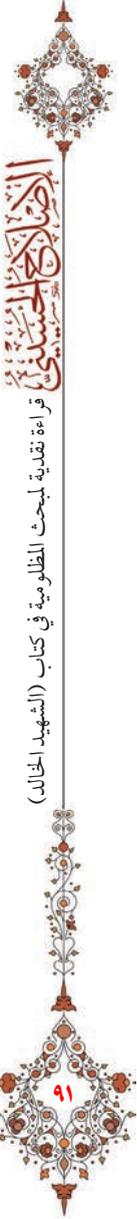
وأما الفاجعة بمقتل الإمام عليّ، فهي وإن كانت عظيمة وجسيمة، وقد تأثّر لها الكون بأرضه وسمائه، ومنّ وما فيهنّ، إلاّ أنّ النتيجة المترتبة أيضاً عظيمة، وهي حفظ الدين الخاتم، وهو الهدف والغاية من الخلقة؛ ولذلك تُعدّ هذه الفاجعة ضمن سلسلة فجائع الأنبياء والأوصياء التي كانت من أجل عبادة الله، إلاّ أنّها أعظمها وأفجعها.

وأما قوله: إنّ بقية الثورات أضعفت الشيعة، وقتلت رجالها، فهذا منه غريب؛ وذلك: أولاً: مَنْ قال: إنّ كلّ قتلٍ يضعف الوضع العام الشيعي؟ فكم من قتلةٍ أحييت مجتمعات، وكم من حياة دمّرت حضارات، فكم من دماءٍ سقت أُمماً، وكم من أنفاسٍ ذابت بسكوت، ولم يكن لها في التأريخ إلاّ العدم أو الخنوع.

ثانياً: لو كان كلّ قتلٍ مضعفاً لمشروع مَنْ قُتل، لكان الرسول صلّى الله عليه وآله قد أضعف الإسلام بحروبه ودفاعاته، وكذا أمير المؤمنين عليّ، عندما قدّموا خيرة الرجال في تلك الحروب. ولكن لا غرابة من الكاتب أن يدّعي مثل هذا الأمر في ثورة التوابين والمختار وزيد الشهيد، بعد أن أفرغ مضمون الثورة الحسينية وجعلها خسارة، وخسارتها أكبر وأكثر من فائدتها.

ثمّ لو كان الانقسام علامة البطلان لبطل الإسلام، وهذه النقطة كما ترى لا تحتاج إلى ردٍّ وتوقف.

(١) أنظر الكلام مفصلاً عن هذا الموضوع: مقال تحت عنوان: (النهضة الحسينية وحفظ المبادئ والمظاهر الدينية)، مجلة الإصلاح الحسيني، السنة الأولى، العدد الرابع: ص ١١٣.



## الثمرة الخامسة: فضيحة بني أمية

أن تكون الثمرة من قتل الإمام عليه السلام ومظلوميته فضيحة آل أبي سفيان، فأجاب عن ذلك: بأنهم مفضوحون من الأساس، قال: «وإذا كان المراد: أن مقتل الإمام الحسين عليه السلام كان سبباً لفضح آل أبي سفيان والكشف عن حقيقتهم؛ وبذلك تمّ إحياء الإسلام. فهذا المطلوب ليس بصحيح أيضاً؛ لأنّ فضائح معاوية وابنه يزيد كانت على مستوى من الظهور لا يحتاج معه إلى كشف الستار...»<sup>(١)</sup>. ثم ذكر بعض الشواهد على ذلك. يرد عليه:

أولاً: صحيحٌ أنّ سياسة بني أمية التكفيرية الظالمة الجاهلية كانت مفضوحة بعض الشيء، إلا أنّ شهادة الإمام عليه السلام ومظلوميته فضحتهم بشكل أكبر، بحيث لو أمكنهم التستر على بعض جرائمهم لما أمكنهم التستر على هذه الجريمة الشنيعة، فزيادة فضيحتهم، وبيان زيفهم أمرٌ أساسي ومهمٌ جداً.

ثانياً: إنّ مجموعة من الانتهاكات التي كان يمارسها معاوية ويزيد، والتي ذكر لها الكاتب بعض الشواهد، كانت تُمارس تحت غطاء الدين، وتحت غطاء مبدأ الجبر وإنّ بني أمية اختارهم الله، وفرضهم على الأمة، بل ونجد إلى هذا اليوم من يُبرّر لمعاوية ويزيد، فضلاً عمّن مضى، ولولا دم الحسين عليه السلام لأُخفيت وحُذفت تلك المعاصي الشنيعة ليزيد وأبيه معاوية، ولبني أمية بشكلٍ عام، فدم الإمام الحسين عليه السلام كما فضحهم فقد أثبت فضائحهم الأخرى؛ لذلك يُعتبر دم الإمام عليه السلام أبرز وأهمّ حلقات فضائح بني أمية.

ثالثاً: لم يدع أحدٌ أنّ فضيحة بني أمية هو الهدف الوحيد للثورة الحسينية، وإنّما هو أحد أهدافها، وكونه كذلك من المسلّمات والواضحات، ولا أتصور أنّ الكاتب

(١) أنظر: هذا العدد، مقال (هل خطّط الإمام الحسين عليه السلام لإبراز مشهد المظلومية والمأساة في كربلاء؟):



يدّعي أنّ قتل الإمام عليه السلام لم يساهم في فضح بني أمية ولو بنسبة قليلة، وهذا المعنى ذكره الكاتب في الهامش معلقاً عليه: «إلا أنّ تلك الفضائح التي حلّت بآل أبي سفيان نتيجة تلك الجرائم لا يمكن أن تكون هدفاً لنهضة الإمام عليه السلام»<sup>(١)</sup>.

أقول: من أين جاء عدم الإمكان؟! وكيف ثبت؟! ولماذا جزم به الكاتب؟! ولأيّ سبب لا يمكن أن نعتبرها مقصودة من الأول؟!

### الثمرة السادسة: إثارة مشاعر أهل الشام

أن تكون الثمرة هي إثارة مشاعر أهل الشام، فأجاب بأنّ أهل الشام لم تتحرّك مشاعرهم قط، قال: «وإذا كان المراد: أنّ مقتل الإمام عليه السلام وأسر أهل بيته كان سبباً في تأجيج مشاعر أهل الشام وتمردهم على يزيد؛ وبالتالي تمّ إحياء الإسلام بذلك. فهذا أيضاً لا يمكن قبوله، فقد طغى الوضع المادّي على أهل الشام وتمسّكهم بالدنيا على امتداد أربعين سنة من حكومة معاوية..»<sup>(٢)</sup>.

ويرد عليه:

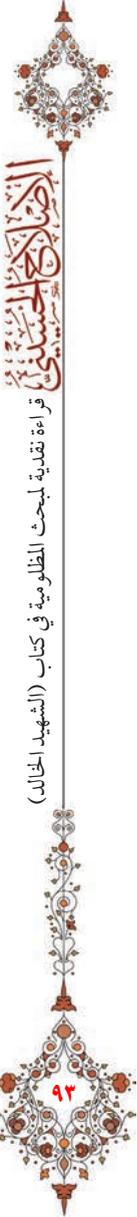
أولاً: لا نجزم بأنّ أهل الشام جميعهم يعلمون الحقّ وينكرونه، ويصرون على البقاء مع يزيد مع علمهم بفسقه، بل ربّما يوجد العديد من المغرّرين بهم، والذين يحتاجون إلى مَنْ ينبّههم ويوقظهم، أو لا أقلّ إلى مَنْ يُقيم الحجّة عليهم، فالمجتمع على طبقات متفاوتة في الفهم والإدراك وما إلى ذلك.

فإن قلت: قد كان قبل ذلك أمير المؤمنين عليه السلام، والإمام الحسن عليه السلام، ولم تكن هناك فائدة تُذكر من أهل الشام.

(١) أنظر: هذا العدد، مقال (هل خطّط الإمام الحسين عليه السلام لإبراز مشهد المظلومية والمأساة في كربلاء؟):

هامش ص ٦٧.

(٢) أنظر: هذا العدد: ص ٦٧.



قلت: لا نسلم بعدم الفائدة أولاً. وثانياً: هذا دليل لزوم تعدد المنذرين، ولأجل ذلك تعدد الأنبياء والأوصياء؛ ولذلك كانت محاولات الإمام الحسن عليه السلام، وقد ادعى بعض المحققين أن صلح الإمام الحسن عليه السلام كان من أجل هداية أهل الشام وإيصال المعلومة الصحيحة إليهم فيما يرتبط بأهل البيت عليهم السلام ومجمل حركة الإمام علي عليه السلام <sup>(١)</sup>.

ثانياً: ليس من الصحيح أن نطلب أن يكون الأثر والتغير آنياً، بل الأهم من ذلك أن يكون التغير تدريجياً ينعكس على الأجيال القادمة، وهذا النوع من التغير أهم من ذلك بمراتب؛ لأنه ممتد على طول الزمن.

ثالثاً: من قال: إن كل أهل الشام هجموا على المدينة وعلى مكة؟! فالمجتمع الشامي مجتمع كبير، وجيش يزيد لا يعني كل الشام، كما أن جيوش بعض الطغاة في الدول الإسلامية لا يمثل جميع أبناء الشعب.

رابعاً: من قال: إن الثورة ضد الظلم والطغيان تكون في ليلة وضحاها؟! فإن الكثير من الثورات تبتدى بقضية ما، ثم تأتي ثمارها بعد حين، بل بعد عشرات السنين أو أكثر، متأثرة بتلك الواقعة التي أشعلت الفتيل، وكسرت أطواق الخوف.

### نقاش في نقطة هامة

ذكر الكاتب تحت عنوان نقطة هامة: أن الإمام عليه السلام أراد الرجوع، وهذا لا يجتمع مع الأهداف المذكورة، قال: «فإن الإمام الحسين عليه السلام عندما واجه الحر بن يزيد الرياحي قرّر حينها الرجوع إلى الحجاز، وأصرّ على هذا الأمر إصراراً كبيراً، إلى حدّ اقترح الرجوع وإيقاف النزاع خمس مرّات على الأقل...» <sup>(٢)</sup>.

(١) وهذا ما يتضح جلياً عن مراجعة كتاب (صلح الإمام الحسن عليه السلام)، للسيد سامي البدري.

(٢) أنظر: هذا العدد، مقال (هل خطّط الإمام الحسين عليه السلام لإبراز مشهد المظلومية والمأساة في كربلاء؟):

يرد عليه: إن هذا لا ينافي الأهداف المذكورة بوجه، نعم، قد يؤثر في تحديد الوقت الذي قُصدت فيه تلك الأهداف لأن تكون أهدافاً - طبعاً حسب المعطيات الظاهرية - وهذا لا يؤثر على بحثنا في المقام؛ لأننا لسنا بصدد بيان تحديد الهدف من أول الحركة الحسينية ومن حين الخروج من المدينة.

### عوداً على بدء

قال الكاتب: «نعم، إن الحقيقة تتمثل في مقاومة الإمام الحسين عليه السلام وكفاحه البطولي في طريق الإسلام، ومن أجل إحياء تعاليم القرآن، حتى نال بذلك الشهادة»<sup>(١)</sup>. أقول: وهذا عين ما يقوله الجميع.

### نقاش (التشبيه الخاطئ)

قال الكاتب تحت عنوان تشبيه خاطئ: «ربما يقال: قد يتطلب الوضع الصحي المتدهور لمريض ما - في بعض الأحيان - إلى استخدام السكين لإجراء عملية جراحية. كذلك في الوضع الاجتماعي، فقد يصل الفساد إلى حدٍّ لم يبق معه أيّ طريق للإصلاح عدا طريق الحرب وإراقة الدماء. فلما رأى الإمام الحسين عليه السلام أن فساد المجتمع وصل إلى حدٍّ لم ينفع معه إلا إراقة الدماء، حينها أقدم على فعل مثل هذا العمل الكبير. هنا لا بدّ من القول: هل يُستأصل - في حال إجراء العملية الجراحية - العضو السالم أم العضو الفاسد؟!»<sup>(٢)</sup>.

أقول: مع أنه ليس من دأب المحصلين النقاش في المثال، إلا أن الكاتب اشتبه في فهم المثال؛ وذلك لأن المقصود من التشبيه أن هناك حالات فساد في المجتمع، لا يمكن

(١) أنظر: هذا العدد، مقال (هل خطّط الإمام الحسين عليه السلام لإبراز مشهد المظلومية والمأساة في كربلاء؟):

(٢) أنظر: هذا العدد: ص ٦٩.

أن تُرفع إلا بتضحيات ومعانات وألم، فإذا صارت تلك التضحيات ارتفع ذلك الفساد، واجتث من المجتمع، كما في الجسم عندما يتعرض إلى مرض يحتاج في استئصاله إلى أن يفتح الجلد، ويشق اللحم، ويجرح العصب، ثم يستأصل العنصر الفاسد والغده المرضية، فهناك مراحل اختيارية من الألم يتحملها المريض حتى يُستأصل العنصر الفاسد، وأين هذا المعنى مما صورّه الكاتب؟!!

### تعبير خطير

قال الكاتب: «في حين أن الإمام عليه السلام لم ينهض لخلق مثل هكذا حادثة فظيعة ومروعة»<sup>(١)</sup>.

أقول: لا أريد أن أُعلّق على هذا الكلام، فهو لا يستحقّ التعليق، ولكن أدعو القارئ إلى قراءة هذا النصّ في ضمن سياقه من كلام الكاتب؛ حتى يحكم بنفسه، ولا يُقال: تمّ اقتطاع الكلام وعزله عن محيطه؛ فتغيّر معناه، وتشوّه المراد منه.

### الفصل بين فعل يزيد وفعل الإمام الحسين عليه السلام

أكّد الكاتب أنّه لا بدّ من الفصل بين فعل حكومة يزيد وبين ما قام به الإمام الحسين عليه السلام، وألاّ توضع حادثة كربلاء الدموية في حساب الإمام الحسين عليه السلام.  
أقول: هذا مسلّم، ولم يدّع أحد أنّ المسبّب لحادثة كربلاء هو الإمام الحسين عليه السلام، وأنّ حكومة يزيد بريئة من ذلك، فهذا أمرٌ لم يدّع أحد من العامّة - إلاّ بعض النواصب - فضلاً عن الخاصّة.

وأما أنّ الكاتب فهم ذلك من بعض العبارات فهذا أمرٌ يخصّه، وكان عليه أن يدقّق أكثر في فهم الكلمات.

(١) أنظر: هذا العدد، مقال (هل خطّط الإمام الحسين عليه السلام لإبراز مشهد المظلوميّة والمأساة في كربلاء؟):

## غرابة تصوّر

قال الكاتب تحت عنوان تصور خاطئ: «يتصوّر البعض أنّ الإمام الحسين عليه السلام كان عازماً منذ بداية الأمر على التضحية بنفسه، وأنّ يؤسّر أهل بيته ويُساقون من بلدٍ إلى بلد. وبعبارة أخرى: كان الإمام يهدف من أوّل الأمر إلى وضع عياله في دائرة الأسر، وسعى جاهداً إلى تحقيق ذلك بداعي تعرية الحكومة الأموية آنذاك وإظهار حقيقتها.

[أقول]: هل يمكن أن يُقال: إنّ دخول زينب الكبرى بثيابٍ رثةٍ على مجلس عبيد الله بن زياد...»<sup>(١)</sup>.

أقول: إنّ الكاتب قد خلط بين أمرين:

الأول: رضى الإمام عليه السلام بما حدث في واقعة الطف وما بعدها، وأنّه أمر أفرحه وأفرح رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام.

الثاني: إنّ ما وقع في كربلاء أمرٌ لا بدّ منه؛ لإحياء أمة لا ترجع لوعيتها إلاّ بذلك، فالإمام عليه السلام رضى بذلك مضطراً لتحمل كلّ هذه المصائب؛ لأجل الظروف العصبية التي أحاطت بالأمّة آنذاك، فلو ادّعى شخصٌ أنّ الإمام عليه السلام كان راضياً قلباً بما حدث لأجل ما حدث لا لأجل النتائج المترتبة عليه، لوردت جميع نقوضات الكاتب، ولكنني أستغرب أشدّ الاستغراب من هذا الفهم السطحي لبعض الكلمات، أنا لا ادّعي أنّ الإمام عليه السلام كان قاصداً لما حدث من أوّل الأمر، ومن أوّل التحرك، فهذا بحثٌ آخر يرتبط بعلم الإمام عليه السلام الغيبي والظاهري، والشواهد والظواهر الأخرى، ولكن أقول: لا بدّ أن لا نُحمّل أحداً ما لا يمكن أن يقصده، فكان على الكاتب أن يميّز بين هذين الأمرين، ولو ميّز لما أشكل.

(١) أنظر: هذا العدد، مقال (هل خطّط الإمام الحسين عليه السلام لإبراز مشهد المظلوميّة والمأساة في كربلاء؟):

## طلبٌ أخير

قد نقلنا مجموعة من كلمات الكاتب ورددنا عليها، وكان النقل لجزء من كلماته معتمدين بذلك على قراءة المقال السابق، الذي فصل فيه الكاتب آراءه وأدلّته؛ لذلك أطلب من القارئ الكريم أن يقرأ كلّ ما نقلناه عن الكاتب في ضمن كلامه وسياقه؛ حتى يمكنه أن يؤيد الكاتب، أو يقتنع بما رددنا به عليه، أو يكون له رأي آخر، وهذه دعوة لإنصاف الجميع.